🌟عمدة القاري شرح صحيح البخاري

دراسة علمية شاملة في دُرّة التراث الإسلامي🌟

مما لا شك فيه أن كتاب **"الجامع الصحيح "**للإمام البخاري هو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى عند المسلمين، ولعِظم مكانته، تسابق العلماء في كل عصر ومصر إلى شرحه، واستخراج كنوزه، وتبيان غوامضه. ومن بين مئات الشروح التي وُضعت على هذا السِّفْر العظيم، يبرز كتاب **"عمدة القاري شرح صحيح البخاري "**كواحد من أعظم الموسوعات العلمية، وأكثرها شمولاً، وأدقها تفصيلاً✨📚 .

في هذه المقالة العلمية، سنغوص في أعماق هذا الكتاب، لنتعرف على مؤلفه، ومنهجيته، والقيمة العلمية التي أضافها للمكتبة الإسلامية.

👤من هو صاحب "عمدة القاري"؟

هو الإمام العلامة، قاضي القضاة، **بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العَيْني الحنفي** (762 - 855)هـ.
وُلد في مدينة "عينتاب" (في تركيا حالياً، وإليها يُنسب)، ثم ارتحل في طلب العلم إلى حلب، ودمشق، والقدس، واستقر به المقام في القاهرة، التي كانت آنذاك حاضرة العالم الإسلامي وعاصمة دولة المماليك🕌 .

- **مكانته العلمية :**برع العيني في الحديث، والفقه، واللغة، والتاريخ. وتولى مناصب رفيعة في الدولة المملوكية، منها "الحسبة" و"قضاء القضاة" للحنفية⚖️ .
- **عقليته الموسوعية :**لم يكن العيني مجرد مُحَدِّث، بل كان فقيهاً أصولياً، ولغوياً بارعاً، ومؤرخاً مدققاً، وهذا التنوع انعكس بوضوح على شرحه لصحيح البخاري.

📖بطاقة تعريفية بالكتاب

- **اسم الكتاب :**عمدة القاري شرح صحيح البخاري.

- **المؤلف :**الإمام بدر الدين العيني.
- **المذهب الفقهي :**الحنفي (ويُعد الكتاب أكبر وأهم شرح حنفي لصحيح البخاري).
- **زمن التأليف :**استغرق تأليفه حوالي **عشرين عاماً)**بدأ فيه سنة ٨٢١ هـ وانتهى منه سنة ٨٤١ هـ⏳ .(
- **حجم الكتاب :**يُطبع عادة في حوالي ٢٥ مجلداً ضخماً، مما يجعله موسوعة علمية متكاملة.

🛠️المنهجية العلمية للإمام العيني في شرحه

يتميز "عمدة القاري" بمنهجية هندسية دقيقة، حيث لا يسرد العيني الشرح سرداً، بل يقسّم كلامه على الحديث الواحد إلى أنواع (أبواب أو فصول صغيرة)، مما يسهل على الباحث الوصول إلى المعلومة. وتتمثل هذه المنهجية في المحاور التالية🔍 :

🧬 .1الضبط اللغوي والإعراب (بيان اللغة والصرف)

العيني لغوي من الطراز الرفيع. يمسك بألفاظ الحديث فيشرح غريبها، ويفكك تراكيبها النحوية، ويبيّن أصل الكلمات الصرفي. وقد تفوق العيني في هذا الجانب بشكل ملحوظ، مما جعل كتابه مَعيناً لا ينضب لعلماء اللغة🖋️ .

👥 .2علم الرجال وتراجم الرواة

يُفرد العيني قسماً خاصاً في كل حديث تحت عنوان "بيان رجاله". فيذكر اسم الراوي، وكنيته، ونسبه، وبلده، وضبط اسمه بالحركات (حتى لا يقع القارئ في التصحيف)، ويذكر درجته من حيث الجرح والتعديل.

⛓️ .3لطائف الإسناد

يهتم العيني بتوضيح نوع السند (هل هو متصل، مسلسل، معنعن؟)، ويستخرج اللطائف الحديثية من السند، كأن يكون الرواة كلهم من مدينة واحدة (مسلسل بالمكيين أو المدنيين مثلاً).

⚖️ .4الاستنباط الفقهي والأحكام (المسائل الفقهية)

هذا هو "بيت القصيد" في الكتاب. يقوم العيني بـ:

- استخراج الأحكام الفقهية من الحديث.
- عرض آراء المذاهب الأربعة (الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنابلة) وعلماء السلف بإنصاف.
- **الدفاع عن المذهب الحنفي :**يُعتبر الكتاب الحصن المنيع للمذهب الحنفي؛ حيث يُوجّه العيني الأحاديث التي ظاهرها يخالف مذهب أبي حنيفة، ويبيّن أدلة الحنفية ببراعة فائقة وأدب جم.

💡 .5المعاني والبيان (البلاغة النبوية)

يُبرز العيني النواحي البلاغية في كلام النبي ﷺ، من استعارات، وتشبيهات، ومجاز، مما يوضح إعجاز "جوامع الكَلِم" النبوي.

⚔️المنافسة العلمية الشريفة: "عمدة القاري" و"فتح الباري"

لا يمكن الحديث عن "عمدة القاري" دون التطرق إلى نظيره ومنافسه" :**فتح الباري" للإمام ابن حجر العسقلاني**)المتوفى ٨٥٢ هـ🤝 .(

لقد عاش الإمامان في نفس العصر (في القاهرة)، وكانا يتنافسان علمياً. كان ابن حجر يمثل المدرسة الشافعية، وكان العيني يمثل المدرسة الحنفية.

- **التكامل لا التعارض :**يرى العلماء المحققون أن الكتابين يُكملان بعضهما. فإذا كان ابن حجر قد تفرّد في الصناعة الحديثية، والجمع بين الروايات، وتتبع طُرق الحديث؛ فإن العيني قد تفوق في الجانب اللغوي والنحوي، والترتيب المنهجي، والدفاع عن فقه الحنفية.
- **مقولة تاريخية :**رُوي أن بعض العلماء قالوا" :*لولا فتح الباري لما كُتب عمدة القاري"*، وذلك لأن العيني كان يستفيد مما يكتبه ابن حجر ويناقشه فيه، والعكس صحيح، مما أثمر للأمة ثروة علمية هائلة 💎 .

🌟أبرز مميزات "عمدة القاري"

١. **الترتيب والتنظيم المذهل :**تقسيم الشرح إلى (بيان اللغة، بيان الإعراب، بيان المعاني والبيان، بيان استنباط الأحكام...) يجعله أسهل الشروح دراسةً للباحثين الأكاديميين🗂️ .

٢. **الموسوعية الفقهية :**لا يكتفي بشرح الحديث، بل يحوله إلى درس فقهي مقارن، جامعاً لأقوال المذاهب بأدلتها.

٣. **العناية بـ "تراجم البخاري :"**(أي عناوين الأبواب). فالبخاري معروف بأن "فقهه في تراجمه"، وقد بذل العيني جهداً جباراً في ربط عنوان الباب بالحديث المذكور تحته، وكشف مقاصد البخاري الخفية🔑 .

٤. **الاهتمام بالجغرافيا التاريخية :**عند ذِكر الغزوات أو البلدان في الأحاديث، يُفصل العيني في تحديد المواقع وأسمائها المعاصرة والقديمة🗺️ .

🎯الخاتمة

إن كتاب "**عمدة القاري شرح صحيح البخاري** "للإمام بدر الدين العيني ليس مجرد كتاب يُقرأ، بل هو "جامعة إسلامية" مصغرة. فيه يجد النحوي ضالته، والفقيه غايته، والمُحَدِّث مبتغاه، والمؤرخ تفاصيله✨🌍 .

لقد ترك لنا الإمام العيني أثراً خالداً، يُبرز عظمة العقلية الإسلامية وقدرتها على التحليل، والاستنباط، والتنظيم المنهجي الدقيق. وسيظل هذا السِّفْر العظيم عمدةً لكل قارئ، ونبراساً لكل باحث في علوم الشريعة الغراء، مصداقاً لاسمه الذي طابق مُسَمّاه" :**عمدة القاري**📚🕌 ".

🌟عمدة القاري (الجزء الثاني): أسرار الصَّنعة الحديثية والفقهية في موسوعة الإمام العيني🌟

لم يكن تأليف "عمدة القاري" مجرد حدثٍ عابر في تاريخ التأليف الإسلامي، بل كان تتويجاً لجهد بشري هائل، وانعكاساً لعصرٍ ذهبي من عصور الموسوعات العلمية. إليك المزيد من التفاصيل الدقيقة حول هذا الكتاب:

🔑أولاً: مقدمة الكتاب (مفتاح الكنز)

بدأ الإمام العيني كتابه بـ **"مقدمة حافلة "**تُعدّ بحد ذاتها رسالة علمية مستقلة في علوم الحديث ومصطلحه. وقد قسّمها إلى عدة فصول (أو ما أسماه "فصولاً كالمقدمات")، وتضمنت:

١. **فضل علم الحديث وأهله :**بيّن فيها شرف المشتغلين بسنة النبي ﷺ  .

٢. **ترجمة الإمام البخاري :**استعرض تفاصيل حياة البخاري، ونشأته، ورحلاته، وشيوخه، وتلاميذه، ومحنه، وثناء العلماء عليه📜 .

٣. **شروط البخاري ومنهجه :**شرح بتفصيل دقيق المعايير الصارمة التي اشترطها البخاري لقبول الحديث في "جامعه الصحيح."

٤. **مصطلح الحديث :**لخص فيها أهم قواعد علوم الحديث (الصحيح، الحسن، الضعيف، المرسل، الخ) لتكون آلة بيد القارئ قبل الولوج في الشرح🔬 .

📚ثانياً: مصادر الإمام العيني (المكتبة داخل الكتاب)

الناظر في "عمدة القاري" يدرك فوراً أن العيني كان يجلس وسط مكتبة ضخمة تضم أمهات الكتب في كل فن. وقد اعتمد في شرحه على مئات المصادر، أبرزها:

- **في الحديث وشروحه :**اعتمد على شروح من سبقه مثل *:أعلام الحديث* للخطابي، و*شرح ابن بطال*، و*شرح الكِرماني* (الذي نقل منه كثيراً وناقشه)، و*شرح النووي* على صحيح مسلم📖 .

- **في اللغة والغريب :**استقى من *الصحاح* للجوهري، و*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، و*المُحكم* لابن سيده🤫 .
- **في الفقه والخلاف :**نقل آراء المذاهب من بطون كتبها المعتمدة، مثل كتب الإمام محمد بن الحسن الشيباني، والطحاوي (للحنفية)، والمُدوّنة (للمالكية)، والأم (للشافعية)، والمغني (للحنابلة)⚖️ .
- **في الرجال والتراجم :**اعتمد على *الكمال في أسماء الرجال* وتفرعاته، وكتب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ويحيى بن معين👥 .

⚔️ثالثاً: المبارزة العلمية (التعقبات بين العيني وابن حجر)

من أمتع الفصول في تاريخ الحركة العلمية الإسلامية هي العلاقة بين العيني وابن حجر العسقلاني. لم تكن مجرد منافسة، بل كانت **"حواراً علمياً حياً "**على مستوى قمة الهرم الأكاديمي في العصر المملوكي🏰 .

- **كيف بدأت؟** كان العيني يقف على الملازم (الأجزاء) التي يكتبها ابن حجر من "فتح الباري"، فيقرؤها، ويستفيد منها، ثم **"يتعقبه "**(أي ينتقده أو يصحح له) في بعض المسائل الفقهية أو اللغوية في كتابه "عمدة القاري"، وغالباً ما كان يقول: *"وقال بعضهم "*...دون أن يصرح باسم ابن حجر احتراماً🤫 .
- **رد ابن حجر :**عندما لاحظ ابن حجر هذه التعقبات، ألّف كتاباً مستقلاً أسماه **"انتقاض الاعتراض"**، رد فيه على انتقادات العيني، ودافع عن اختياراته🛡️ .
- **النتيجة :**هذه "المبارزة" أنتجت تحريراً مذهلاً للمسائل العلمية، حيث كان كل إمام يبذل قصارى جهده في التنقيب والبحث ليدعم رأيه، والمستفيد الأول والأخير كان "المكتبة الإسلامية 💎 ".

🏛️رابعاً: البُعد التاريخي والعُمراني في "عمدة القاري"

لأن العيني كان مؤرخاً كبيراً (له موسوعة تاريخية ضخمة تسمى *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*)، فقد انعكست هذه الصبغة على شرحه للبخاري.

- **تحقيق الأماكن:** إذا ورد اسم "غزوة" أو "جبل" أو "بئر" في الحديث، لا يكتفي العيني بضبط الكلمة، بل يحدد موقعها الجغرافي بدقة، ويذكر المسافة بينها وبين مكة أو المدينة، وربما ذكر التغيرات التي طرأت على المكان في عصره 🗺️ .
- **الوقائع التاريخية:** عند شرح أحاديث السيرة النبوية والمغازي، يتحول "عمدة القاري" إلى كتاب سيرة مفصل، يجمع الروايات ويرتب الأحداث زمنياً ⏳ .

🖨️ خامساً: الطبعات والتحقيقات العلمية للكتاب

نظراً لضخامة الكتاب، تأخرت طباعته مقارنة بكتب أخرى، ولكن عندما طُبع، حظي باهتمام بالغ:

١. **الطبعة الميرية (طبعة بولاق):** هي أقدم وأشهر وأهم الطبعات على الإطلاق (طُبعت في مصر عام ١٣٠٨ هـ). وتتميز بالدقة العالية جداً، وقد صححها كبار علماء الأزهر الشريف في ذلك الوقت، وتُعد العمدة للباحثين حتى اليوم ✨ 📜 .
٢. **طبعة إدارة الطباعة المنيرية:** طُبعت في مصر أيضاً، وهي مصورة ومبنية على طبعة بولاق.
٣. **الطبعات المعاصرة:** صدرت عدة طبعات حديثة عن دور نشر مثل "دار إحياء التراث العربي" و"دار الكتب العلمية" (بيروت)، مصفوفة بالحاسوب ومزودة بفهارس حديثة لتسهيل البحث، وبعضها يقع في ٢٥ مجلداً مع مجلدات مخصصة للفهارس الشاملة 📚 💻 .

🎯 خلاصة القول في تقييم الكتاب

يقول العلماء والمحققون:
"مَن أراد الحديث روايةً ودرايةً وعللاً فعليه بفتح الباري، ومَن أراد الفقه والأحكام واللغة والترتيب المنطقي الصارم فعليه بعمدة القاري 🤝 ⚖️ ."

إن كتاب **"عمدة القاري "**يمثل ذروة سنام المدرسة الحنفية في التعامل مع الحديث النبوي الشريف، وهو دليل قاطع على أن الفقه الحنفي ليس فقه "رأي" محض كما يظن البعض، بل هو فقه ينطلق من صميم النصوص النبوية، وقد سخر الإمام بدر الدين العيني عمره وقلمه ليثبت هذه الحقيقة عبر آلاف الصفحات المشرقة 🕌 🌟 .
